وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية

مجلة الفلسفة

العدد ٢٩ – أ حزيران ٢٠٢٤
مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
تعنى بنشر البحوث في مجالات الفلسفة المختلفة
وما له صلة بها في العلوم الإنسانية الأخرى
AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS – MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY
DOI: 10.35284 المعرف الدولي ISSN: 1136-1992 الترقيم الدولي

البعد الأنطولوجي والسياسي في أفق تاريخ الكينونة
حرية الإرادة والعبودية مقاربة تحليلية في جدل إنسانوية إيراسموس وإصلاحية لوثر
مكانة المرأة في الفكر الغربي المعاصر – بيير بورديو إنموذجا
النظرية الأخلاقية عند وليم أوكام
الفعل الجميل بين الواجب والميل دراسة مقارنة بين كانط ونايس
مفهوم العدالة الإلهية عند الإمامية دراسة عقدية
الإنسان قبل النشأة والوجود
التحقق الذاتي لدى طلبة الجامعة
Feminist Identity and Its Manifestation

مجلة الفلسفة
العدد ٢٩ – أ
حزيران ٢٠٢٤

Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Mustansiriyah University

PHILOSOPHY
JOURNAL

No. 29-A June 2024
AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS – MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY
CONCERNED WITH PUBLISHING RESEARCHES IN VARIOUS FIELDS OF PHILOSOPHY AND WHAT IS RELATED TO IT IN OTHER HUMAN SCIENCES
ISSN: 1136-1992 DOI: 10.35284

The Ontological and Political Dimension on the Horizon of the History of Being
Freedom of will and Slavery between Erasmus's Humanism and Luther's Reformism
The Status of Women in Contemporary Western Thought
Moral Theory in William Ockham
A Comparative Study between Kant and Naess on the Beautiful Act
The Concept of Divine Justice in Imami Shi'a
Man before Origin and Being
Self-Realization of University Students
Feminist Identity and Its Manifestation

العدد التاسع والعشرون - أ

حزيران

2024

مسؤول الدعم الفني

م.د. مؤيد جبار رسن

كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.م. محمد محسن خلف

كلية الآداب/المستنصرية

اخراج وتنضيد

هيئة تحرير المجلة

مسؤول الموقع الالكتروني

م.د أسماء جعفر فرج

تصميم وطباعة

مكتب الإثير

للنشر والطباعة

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على الترقيم الدولي (ISSN:(1136-1992

وعلى المعرف الدولي Doi تحت رقم prefix: 1035284

هيئة التحرير

-رئيس التحرير ا.د.حسون عليوي فندي السراي
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة

-مدير التحرير م.د.محمد محسن أبيش
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة.

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى النشار (كلية الآداب / جامعة القاهرة – مصر)

أ.د. يمنى طريف الخولي (كلية الآداب / جامعة القاهرة – مصر)

أ.د. خوان ريفيرا بالومينو (سان ماركوس – بيرو)

أ.د. عفيف حيدر عثمان (الجامعة اللبنانية – لبنان)

أ.د. إحسان علي شريعتي (كلية الأديان / جامعة طهران – ايران)

أ.د. صلاح محمود عثمان (كلية الآداب / جامعة المنوفية – مصر)

أ.د. علي عبد الهادي المرهج (كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - العراق)

أ.د. صلاح فليفل عايد الجابري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

أ.د. رحيم محمد سالم الساعدي (كلية الآداب / الجامعة المستنصرية - العراق)

أ. د. إحسان علي الحيدري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

أ.د. زيد عباس الكبيسي (كلية الآداب / جامعة الكوفة - العراق)

البريد الالكتروني

journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

ترقيم دولي ISSN:(1136-1992)

فهرست بدار الكتب والوثائق وايداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

PHILOSOPHY JOURNAL

مجلة الفلسفة

مجلة فلسفية مُحكّمة نصف سنوية ، تصدر عن كلية الآداب / الجامعة المستنصرية ، وحاصلة على الرقم الدولي (المعياري) ISSN 1136-1992 ، والمعرف الدولي تحت الرقم 10.35284 وتُعنى بنشر البحوث والدراسات الأكاديمية والفكرية العامة في مجالات الفلسفة المختلفة : مجال تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية ، والوسيطة ــ مسيحية وإسلامية،والحديثة والمعاصرة (الغربية) ، والفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر)، ومجال فروعها (الميتافيزيقا والتأويل ، وفلسفة اللغة والدين والمعرفة والتاريخ والجمال والفن والأدب والسياسة والقانون ...) ، ومجال الموضوعات النظرية العامة الأخرى (الناظرة في: العقائد والعرفان والحضارة والمنهجيات ــ المعرفية والبحثية ...) ، وأي موضوع ثقافي أو فكري يتضمن بُعداً تنظيرياً حول الإنسان والهوية والزمان والحدث ...والنشر في المجلة باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية .ومما تتوخاه المجلة ، فضلاً عن خدماتها الأكاديمية المعروفة ، ترصين الثقافة ، ونشر الوعي النقدي البناء ، وفتح السبل أمام التقدم بالفكر والازدهار الحضاري المميز.

مجلة (الفلسفة)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، تحمل الرقم الدولي (ISSN) 1992-1136. وحاصلة على المعرف الدولي (Doi) تحت رقم 35248-10. وتضم في هيئة تحريرها وعضويتها كبار المتخصصين بالفلسفة من العراق والعالم العربي والاجنبي ممن يحمل الالقاب العلمية العليا.

شروط النشر

1. يجب ان يكون البحث المرسل للمجلة مكتوباً بخط (simple fide Arabic) بحجم (14) للمتن و(12) للهامش ، ومنضداً على (CD) خاص.
2. توضع الكلمات المفتاحية (العربية والانكليزية) في بداية البحث.
3. يرفق مع البحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية لا يزيد عدد كلماته عن (150) كلمة ، ويوضع في بداية البحث بعد العنوان .
4. يكون توثيق الهامش في داخل متن البحث وعلى النحو الاتي : (أسم المؤلف ، سنة النشر،رقم الصفحة) ويقدم اللقب أو الأسم الثاني .
5. يكون التوثيق للمصدر او المرجع في نهاية البحث وعلى النحو الاتي:(اسم المؤلف ،سنة النشر ،اسم الكتاب ،مكان النشر ،دار النشر)

نموذج تطبيقي : *الجابري ، محمد عابد(2003) ، نقدالعقل العربي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .*

6. يشترط في البحث ان لا يكون قد نشر من قبل ، أو قُبل للنشر في أي مجلة داخل العراق أو خارجه.
7. يخضع البحث للتقويم السري والاستلال الالكتروني من قبل خبراء مختصين .
8. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة تحرير المجلة .
9. يدفع الباحث العراقي الذي يروم نشر بحثه في المجلة مبلغا قدره (100000) مائة الف دينار عراقي ، ويدفع الباحث العربي او الاجنبي مبلغا قدره ($100) مائة دولار امريكي .
10. ترسل المجلة بعد صدور العدد نسخة بمثابة هدية للباحث ، وان طلب المزيد يدفع (10000)عشرة آلاف دينار عراقي عن كل نسخة .

توجه المراسلات والاستفسارات على الايميل:
journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

المحتويات

البحث	أسم الباحث	الصفحة
كلمة العدد	رئيس التحرير	١_٢
❖ محور الفلسفة المسيحية		
١: حرية الإرادة والعبودية: مقاربة تحليلية في جدل إنسانوية إيراسموس واصلاحية لوثر	أ.م.د: أحمد عبد السادة زوير	٣٥-٣
٢: النظرية الاخلاقية عند وليم أوكام	م.د. اسماء جعفر فرج	٥٩-٣٦
❖ محور الفلسفة الحديثة		
١: الفعل الجميل بين الواجب والميل دراسة مقارنة بين كانط ونايس	م.م. نور هاشم طه	٧٧_٦٠
❖ محور الفلسفة المعاصرة		
١: البعد الأنطولوجي والسياسي في أفق تاريخ الكينونة مقاربة في فهم إشكاليات الانعطافات الكبرى	أ.د كريم حسين الجاف	١١٥_٧٨
٢: مكانة المرأة في الفكر الغربي المعاصر (بيير بورديو من خلال كتابه الهيمنة الذكورية)	أ . م . د. وفاء كاظم علي	١٣٧_١١٦
❖ محور الفكر الاسلامي		
١: الإنسان قبل النشأة والوجود	م.م. حيدر لؤي جبار	١٥٥-١٣٨
٢: مفهوم العدالة الالهية عند الإمامية دراسة عقدية	م.م. إسماعيل دهله هايش	١٧٢-١٥٦
❖ محور الفلسفة والدراسات الأخرى		
١: التحقق الذاتي لدى طلبة الجامعة	م. م. جوهر محي كاظم	١٨٢_١٧٣
❖ محور الدراسات باللغة الانجليزية		
Feminist Identity and Its Manifestation in Tanushree Podder's Escape from Harem, R. K. Narayan's The Guide and Dipika Rai's Someone Else's Garden	Zeena Mohammad Tahir	١٩٤_١٨٣
❖ محور قراءة في نصٍ فلسفي		
١: نهج البلاغة من التشفير الى الحكمة	ا. د. رحيم محمد الساعدي	٢٠٠-١٩٥
٢: التلمذة الفلسفية لغادامير سيرة غيرية	م. د. زينب والي شويع	٢٠٩-٢٠١
❖ محور نصوص مترجمة		
١: تاريخ الفلسفة: هل يتطور بشكل دوري	ترجمة: يوسف اسحيردة	٢١٥-٢١٠
٢: ما نحتاجه قبل قراءة النصوص الكانطية	ترجمة .أ.م.د. ليث أثير يوسف	٢٢٠-٢١٦

كلمة العدد

بالتزامن مع إنعقاد مؤتمر العراق الفلسفي الحادي عشر (في كلية الآداب الجامعة المستنصرية) ، والذي ستقوم (مجلة الفلسفة) بنشر بحوثه ، يصدر هذا العدد الـ (٢٩) ليؤكدا مجدداً على الحضور المتميز للفلسفة في صيرورة اهتمامات مجتمعنا ومثقفينا .

ومن لوازم إدامة حضور هذا النوع من الفكر، أعني الفلسفة، التثاقف الايجابي، بل قل الجدلي بالأحرى، بين الخطاب الفلسفي المحض ، التخصصي، المقام على التسويغ الإتساقي، أو السياقي كما يُطيب لفيلسوف النقد (كانط) أن يقول ، وبين الخطاب الفلسفي التطبيقي الذي ينظر في قضايا انشغالات الناس وفيما تكدس من أفكار في عقولهم ، أو فيما بتنا نسميه : الثقافة التداولية (ولكن من منظور فلسفي كما لا يُخفى) .

إن من طبيعة الثقافة التداولية أن تكون اجتماعية ، وعلى صلة بالتراث ، التراث الديني كما هو الحال في زماننا، ومن هنا سيطلع القارئ الكريم ، في هذا العدد ، على نماذج من المقاربات لبيان هذه الصلة من خلال البحث في : أصل الانسان والوجود استناداً إلى النص الديني ، والحرية والعبودية بين العصر الوسيط ومشارف عصر النهضة، والعدالة الإلهية كما تجسدت في الفكر الإسلامي ـ الإمامي، والموقف من المرأة في الشرق والغرب ، من خلا بحثين : وتجلياتها في نماذج من الأدب الروائي the feminist identity الأول عن الهُوية النسوية والثاني في الفكر الغربي المعاصر (بيير بورديو أنموذجاً).....

أما الخطاب الفلسفي المحض فلدينا منه في هذا العدد بحثان الأول يرصد المنعطفات التاريخية في معنى الوجود العام (الكينونة) من المنظور الانطولوجي المعاصر؛ ويبدو أن ارسطو كان محقاً : فالسؤال الذي حيّر الناس وما زال يُربكهم .. هو سؤال الوجود (" ما الوجود ؟") ...

والبحث الثاني في فلسفة الجمال والاخلاق وذلك خلال التوقف عند الفعل الجميل بين الواجب والميل ، عبر مقارنة بين أطروحتي كانط ونايس في هذا الصدد .

وفي محور قراءة في نص فلسفي لدينا نصان الأول فريد عن " نهج البلاغة من التشفير إلى الى الحكمة "، والحكمة هي الفلسفة الأولى ، والثاني قراءة في كتاب (التلمذة الفلسفية لغادامير سيرة غيرية)

وفي محور النصوص المُترجمة لدينا نص (عن الفرنسية) يدور حول " تاريخ الفلسفة " وهل يتطور بشكل دوري!، ونص (عن الانجليزية) حول : " ما نحتاجه قبل قراءة النصوص الكانطية " .

ونرجو من هذا التنوع في الموضوعات ، والتعدد في المقاربات ، والتباين في المنظورات الفلسفية ، في مجلتكم (مجلة الفلسفة) المُحكّمة ، أن يساهم مجدداً في تبيين أهدافها من نشر الثقافة الفلسفية واشاعة الوعي النقدي عبر تنمية العقول وصقل المواهب والابتعاد عن الدوكماتيات التي تسيّدت على الكثير من العقول والثقافات والمتبنيات...

رئيس التحرير

حرية الإرادة والعبودية

مقاربة تحليلية في جدل إنسانوية إيراسموس واصلاحية لوثر

أ.م. د.: أحمد عبد السادة زوير

كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة

islamicthought.lecturer٤@alkdhum-col.edu.iq

الملخص

إنَّ السؤال الذي دارت عليه أشهر المناظرات في تاريخ الفكر الغربي إبّان القرن السادس عشر هو كيف نواجه أشياء ليست في نطاق سيطرتنا؟ وهذا يدفعنا إلى السؤال عمّا حدث في الأزمنة التي سبقت مجيئنا، فهو البحث عن هذا الوجود وطبيعته، والكون الذي نحيا فيه من الأشياء التي تعد خارجة عن سيطرتنا، والواضح أنَّ كثيراً من الأشياء الواقعة في الخارج هي تحت هذا الوصف، ومهمة هذه الأسئلة أن توضح أصل الخلاف الذي أحتدم بين عالم اللاهوت الكاثوليكي الإنسانوي دسيدريوس إيراسموس (١٤٦٦-١٥٣٦م)، وعالم اللاهوت البروتستانتي الإصلاحي مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٦م)، وتنطلق الدراسة لبحث الجدل الدائر في تحديد صلاحيات إرادتنا ومدى فاعليتها إزاء معرفة قدرتنا في اختيار أفعالنا، لا سيما قدرتنا الحرة بوصفنا اشخاصاً بالغين وسليمين عقلياً، فأفعالنا وتصرفاتنا لا تفرض علينا فرضاً من الطبيعة أو من أشخاص آخرين، بملاحظة أَننا نلجأ إلى اجابات التي تمثل الإيمان المسيحي بوصفه منبعاً للمعرفة البشرية، فأصل الخلاف يدور حول قدرة الكتاب المقدس، وفهمه في بيان وصف هذه الإرادة أو الغائها، وأنَّ كلا اللاهوتيينِ سيلجأن إلى النصوص نفسها الواردة في الكتاب؛ لكن الخلاف يظهر في توظيف هذه الوصايا الواردة في النص الديني، ويضاف لها دور الإجابات التي تمثل عصر الآباء، ومساحة العقل البشرية، التي تؤثر في إظهار عمق

الفجوة وتضاد بعض النصوص، والاحتكام إلى العقل البشري في تفسير مشيئة الإنسان، وتحديد مصير أفعاله وقدرته في إتخاذ الأفعال البشرية، ومصيره الذي يحتم عليه تلقيه من السماء، عبر فكرة عبودية الإله وقدرته في تحديد مسار أفعال الإنسان، التي هي ضمن الصفات الإلهية التي لا خلاف فيها ولا جدل، ودور النعمة الإلهية في تخليص الإنسان من الأفعال الشريرة (الخطيئة الأولى) عبر عقيدة الخلاص المسيحية، وكلّ من إيراسموس ولوثر سيعكس اتجاهه في تحديد إجابته ورفضه للآخر، إلى درجة تُظهر أنّ هذه المناظرة ستبين تحديد مسار الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الإصلاحية البروتستانتية الذي يُمثل قيمتها المعرفية.

الكلمات المفتاحية: (إيراسموس، لوثر، حرية الإرادة، عبودية الإرادة، اللاهوت)

Abstract

The question around which the most famous debates revolved in the history of Western thought during the sixteenth century is how we confront things that are not within our control. This leads us to ask what happened in the times that preceded our existence. It is the search for this existence, its nature, and the universe in which we live are among the things that are considered beyond our control. It is clear that many things happening outside our control fall under this description, and the task of these questions is to clarify the origin of the dispute that raged between the humanist Catholic theologian Desiderius Erasmus (١٥٣٦-١٤٦٦AD), and the Protestant Reformed theologian Martin Luther (١٥٤٦-١٤٨٣ AD),

The study begins by investigating the controversy of determining the powers of our will and the extent of its effectiveness in knowing our ability to choose our actions, especially our free ability as adults and mentally sound people. Our actions and behaviours are not imposed on us by nature or by other people,

among the divine attributes that are emptied of God's eternal knowledge, and the role of divine grace in saving man from evil actions (the first sin) through the Christian doctrine of salvation, Both Erasmus and Luther will reflect their direction in determining their answer and rejection of the other, to the extent that shows that this debate will clarify the path of the Catholic Church and the Protestant Reformation and its path, which represents its cognitive value.

Keywords: (Erasmus, Luther, freedom of the will, slavery of the will, theology)

المقدمة

يُعدّ النزاع الذي دار في مطلع القرن السادس عشر ميلادي بين اللاهوتيين الأكثر شهرةً آنذاك، هو الذي حدث بين العالم الإنسانوي الكاثوليكي إيراسموس المشهور بمواقفه الإصلاحية وفطنته وصاحب الحركة الإصلاحية

noting that we resort to answers that represent the Christian faith as a source of human knowledge. The root of the dispute revolves around the ability of the book and its understanding to explain the description of this will or its cancellation, and that both theologians will resort to the same texts contained in the Holy Bible.

But the disagreement appears in the use of these commandments of the religious text in addition to the role of the answers that represent the era of the fathers and the space of the human mind. This has an effect on showing the depth of the gap and the contradiction of some texts, and thus the appeal to the human mind in interpreting the will of man and determining the fate of his actions and his ability to take human actions as well as his destiny from heaven, through the idea of servitude to God and His ability to determine the course of human actions. These are

مارتن لوثر، قبيل هجوم إيراسموس اللاذع على فساد رجالات الكنيسة الكاثوليكية، حينما طرح كتابه (مديح الحماقة)، وهذا مبدأ التقارب بين الاثنين، إلا أنَّ الخلاف في المسائل الأساسية لقضايا اللاهوت أبعد إيراسموس عن لوثر، إذ بقى رائد الإنسانوية وفيّاً للكنيسة الكاثوليكية، وأقدم على انتقاد تعاليم لوثر، الذي بدوره شَرع هو الآخر للرّد على إيراسموس في عام ١٥٢٥م، وهذا مثل بداية الصراع الجدلي بين الاثنين عبر منظومات معرفية متباينة في تفسير النصوص والاختلاف في تأويلها،، إنَّ حقيقة ما اصطلح عليه إيراسموس بالحوار في كتابه (حرية الإرادة) كان في الحقيقة نقطة التقاطع والتخاصم، لما يمثله ذاك العصر من احتدام معرفي في منطلقات بشرية ممزوجة بأصول لاهوتية تارة، وتفسيرات ارثوذكسية قائمة على حقيقة (الإيمان وحده) تارة أخره، وهي ما كانت مبرراً دفع لوثر إلى التبرير بالإيمان مع أنَّه اعّد ما تقدم هي المسألة الظاهرة، والحقيقة أنَّ ما قسّم الفكر والكنيسة المسيحية هي عقيدة (النعمة وحدها)، التي لعبت دوراً قوياً وحيوياً في الجدل بين إيراسموس ولوثر، إذ أوضح لوثر أنَّ عقيدة الاختيار أو العبودية نابع من النعمة وحدها، التي تمثل انعكاساً لعقيدة الإيمان وحده، وهو بذلك يتابع أوغسطين في العقيدة القائلة أنَّ الأفعال قد عُدّت مسبقا، مبينا أنَّ هذه العقيدة هي قلب الكنيسة، رافضا في الوقت نفسه نزعة إيراسموس الاكاديمية الشكوكية، التي تبحث في حقيقة الإرادة من طريق تأجيل الحكم وعدم تأييد أيّ رأي مطروح بما يطرح رؤية التصرف المتعقل في مثل هذه الموضوعات، ولهذا انطلق لوثر إلى أنَّ الروح القدس ليست محل شك، والمسائل التي تصدر منه له قيمة إيمانية وليست محل لشكوكية الاكاديميين، وفي المقابل فإنَّ إيراسموس سيعترض على لوثر بغياب القيمة الأخلاقية للإنسان عن عجزه اتجاه التعاون مع النعمة الإلهية، إذ تغدو الإرادة بلا قيمة حين تعلن سيادة النعمة الإلهية،

بينما بالإمكان تأز الإرادة البشرية والنعمة الإلهية في تحقيق الخلاص، وهذا هو فيصل الفرق والافتراق بين إيراسموس ولوثر، فمنطلقات لوثر الإيمانية ستحتم عليه استعمال أسلوب الهجوم والرفض العنيف، الى حدّ وصفه إيراسموس بانَّه يتبني عقيدة البيلاجيوس الهرطوقي، وهذا الامر دفع لوثر إلى الرد بكتابه المعنون بـ(في عبودية الإرادة)، متذرعاً بأنَّ الإنسان ليس في قدرته تحديد إرادته، إنَّما هو يسير بوساطة النعمة التي تقدر الأفعال بسبب الخطيئة التي ورثها بنو البشر، فالخلاص قائم على أصل النعمة في تحديد اختيار الفرد، وقد استعمل كلٌ من إيراسموس ولوثر مجموعة من النصوص الوارد في العهدين القديم والجديد، لبيان حقيقة آرائهم في الجدل، في استنتاج يحمل فهمين متعارضين، يمثل كل واحد منهم توجهه العقدي والإنساني، لذا قُسّم البحث على مفاصل متعددة إلى المفاصل ابتدأت بالتمهيد لمسألة الإرادة وحرية الاختيار، ومن بعدها ناقش إشكالية حرية الإرادة والاختيار اولاً، وبعدها اتجه البحث إلى مناقشة موقف إيراسموس إزاء رفض لوثر لحرية الارادة عبر ما سميناه عبودية الإرادة ثانياً، وآخيرا تناولنا الكتاب المقدس والفهم المختلف من قبلهم، واختتمنا البحث بأهم النتائج.

التمهيد

إنَّ مناقشة أصل موضوع إرادة الإنسان قائم على فرضية تاريخية قبل كل شيء، وهذا ما أثبتته كلمات إيراسموس في مناقشة مسألة (حرية الإرادة)، بوصفه أعظم رجال عصر النهضة والممثل للتيار الإنساني، فهو لا يريد الاساءة إلى أيّ جانب مختلف عنه، كونه يتعامل مع المسائل والموضوع مناظراً ومستفهماً (إيراسموس ، ٢٠١٤، ١٢)، فهو يبحث عن إجابات وليس رافضاً له (ليس دوغمائياً)، وبهذا إنّه يعلن تجنب الانحياز إلى طرف ما في النقاش، بسبب وسطيته بين الأطراف في بحثه الإرادة الإنسانية الخالصة والنعمة والعبودية، وعدم انحيازه

لا يلغي إيمانه بفكرة أنَّ الموضوع له أصول من الكتاب المقدس، إذ أنّه لم يتوقف في إعادة فتح الإجابات والآراء التاريخية، نزوعاً منه لتقديم وجهة نظر بديلة عن لاهوت لوثر الإصلاحي، قابلة للنقاش المباشر ومقبولة على أساس إنساني، اذ ينطلق إيراسموس في بحثه عن الإرادة للإجابة عن سؤال لم يكتب له الإجابة عبر النسق المسيحي التقليدي بشكل انسانوي، وأنَّ عمله قائم على فرضية سؤال الحرية الشخصية، الذي يمثل المركز لمذهب الإنسانوية المسيحية والمتكأ على قدرة الإنسان على التحكم بمسار أفعاله ومسؤوليته عنها، بمعنى أنَّ الإنسان مخلوق مقدر له امره ويبقى مخلوقاً أخلاقياً حراً في اختياره، بما يتيح له رسم شكل حياته في الخلاص، وهو يدفع عن الاله رسم العبودية والخطيئة التي يحددها القدر الإلهي للبشر، فالفارق أنّ الإنسان هو المسؤول وليس الاله.

ويعود أصل هذا الجدل إلى زمن نشر مارتن لوثر أطروحاته الخامسة والتسعين على باب كنيسة القلعة في فيتنبرغ ١٥١٧م (هندريكس، سكوت إتش، ٢٠١٤، ص١٦)، وهو ما غير مجرى الرؤية الخاصة بتعاليم الكنيسة والعالم، وإذ كانت اعظم الحوارات إذا جاز التعبير عنها في ذلك القرن، إذ كان يُعّد جدلاً لاهوتياً بامتياز في القرن السادس عشر بين دسيدريوس إيراسموس، الذي يعد أبرز علماء عصر النهضة الإنسانية آنذاك ومارتن لوثر الداعي للإصلاح، حينما نشر إيراسموس كتابه الذي جاء تحت عنوان (حرية الإرادة) في عام ١٥٢٤م، واعقبه لوثر بعده بعام برد بعنوان (عبودية الإرادة)، وكان الخلاف الاساس يدور حول طبيعة الارادة من حيث الحرية واللاحرية (العبودية) وارتباطها بالخلاص المتمثل بالنعمة الإلهية، فهذا الجدل لم يسجل حضوراً قبل هذا النزاع، حيث كان لوثر مادحاً ومعجباً بالأخير وبعمله الإصلاحي، ولا سيما في كتابه (مديح

الحماقة)، الذي كان هجوماً لاذعاً على فساد رجال الدين داخل الكنيسة الكاثوليكية، إلا أن إيراسموس ظل وفياً فيما يتعلق بالقضايا الأساسية للكنيسة، وبعدها شرع بنقد تعاليم مارتن لوثر، إذ يقول (("عجبا. إيراسموس يجرؤ على منازعة لوثر، هل يحق لذبابة أنَّ تقف إمام فيل؟" ولكي يهدأ روع هؤلاء أقول إنَّهم لو أعطوني وقتا لذلك، أنني لم أقسم على طاعة كلمات لوثر، ولا ينبغي لأحد أنْ يعدّ اختلافي معه غير لائق أو أكثر من مجرد اختلاف وجهة نظر بين رجل ورجل آخر، ومن ثم يجب ألا يثير غضب أحد إطلاقا الاختلاف مع أحد معتقداته خصوصا إن كان هناك شخص يواجه لوثر بالهدوء وبالحجة العلمية للوصول للحقيقة)) (إيراسموس، ص١٣)

فلوثر كان مدركاً الموقف بشكل جيد، على الرغم من اشتراكه بالمواقف الإصلاحية مثل: هجومه ضد صكوك الغفران ومعارضة البابوية في سلطتها (ج. بيوري، ٢٠١٠، ص٦٦)، ومع هذا بقيت هناك اختلافات لاهوتية عميقة بينهما مع دعوة إيراسموس المبكرة للإصلاح، وجهوده الرائدة في العمل اللغوي عن العهد الجديد اليوناني، وكأنَّ إيراسموس وضع البيضة التي فقست لوثر (ديورانت، ١٩٨٨، ص ١٥٤)، ويمكن التعرف على طبيعة العلاقة والجدل بين الإنسانوي والاصلاحي لكونهما شخصيتين مؤثرتين في الفكر والوعي المسيحي، وإنَّ نُسبت الابوية اليوم إلى لوثر، بخلاف إيراسموس الذي خفت نجمه إلا أنَّه يمثل اللحظة التاريخية في أعماله بالنسبة لمجموعة من الأساتذة والفلاسفة المشتغلين في مناحي الفكر اللاهوتي والفلسفي، فعلى سبيل المثال استعار الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو كتاب (مديح الحماقة) جنبا إلى جنب مع كتاب فلايدر موريا (ريد يفيفا) إذا أنّهما يمثلان أول نماذج ادبية هيومانستية، تناول عبرهما الجنون سواء بشكل فكاهي او جدي (فوكو, ٢٠٠٦، ص٣٧)، وهو ما يؤكده هاشم صالح عن جهود

إيراسموس بقوله: لا ريب في أن كتاب ثناء على الجنون أو (مديح الحماقة) هو رائعة كتب إيراسموس وأحد أهم الكتب التي أنتجها عصر النهضة وأنّه كتاب لم يشخ على الرغم من تعاقب القرون والأزمان عليه، أي منذ لحظة تأليفه عام ١٥١١م وحتى اليوم)) (هاشم, ٢٠٠٥، ص١٠٨) ، فالنقاش النهائي أفرز جدلاً شيداً على شخصية إيراسموس ولوثر، بوصفه موضوعاً مركزياً ومثيراً للتصورات جديدة غالبا ما يتم فيه اسقاط الشخصيات التاريخية في براكين التناقضات الزمانية، فهما يلخصان عمق الجدل بين الإيمان والعقل (ديورانت، ص١٨٠). في حين كان الكثير يأملون أن يتمكن مارتن لوثر وإيراسموس من الاتحاد ضد أخطاء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بل أنَّ لوثر نفسه يميل إلى الاتحاد مع إيراسموس، لأن الأخير كان عالماً عظيماً في عصر النهضة، درس الكلاسيكيات والعهد الجديد اليوناني، محاولاً استثمار موقفه من انتهاكات رجال الكنيسة الذين ذكرهم إيراسموس بشكل ساخر في مديح الحماقة، لفضح فسق روما وافتقارهم إلى العقلانية، ومع هذا الرأي الذي جاء به إيراسموس لم يجعله اصلاحياً، بل انزعج حين قرأ هجوم لوثر على البابا وعلى نظام صكوك الغفران متخذا وسيلة ينأى بها تماما عن لغة الاصلاح وأهدافه، وقد تمثلت في رده عام ١٥٢٤م (المصدر السابق، ج٢، مج ٧، ص ١٥٢).

أولا: إشكالية الارادة

إنَّ بحث موضوع الإيمان بوحدانية الله هو الإشكالية التي تحدد منطلق الدارس في تحديد فيصل الاتفاق بين الديانات الكبرى السماوية اليهودية والمسيحية والإسلام، فالتوتر الذي يرافق المسيحية ليس منشأهُ التوحيد بالمعنى العام، إذ إن اليهودية والاسلام تشاركان معها، وإنمّا المائز الذي يُختلف فيه هو مفهوم التجسد الالهي الذي ردم الهوة بين الإنسان والاله، نعم في البداية كانت الحضارة الرومانية تمثل هكذا مصدر قوة،

إذ أنَّ المسافة بين الالهة والبشر تزيد بصورة كبيره، إلا أنَّها تواجه صعوبة لدى المسيحيين في تفسيرها وايضاحها (كيف يتحول الإله أو يصبح انساناً)، بمعنى عكسي كيف يصبح الإنسان في مقابل الإله؟ والسؤال كيف نحلل هذين السؤالين بما يحملانه من صفات، أو بعبارة ثانية ما العلاقة بين الإلهي والبشري؟ (الأب والأبن) بحسب الوهيته، وبصورة معكوسة ما العلاقة بين البشر ونوعه؟، وهذا الإنسان–الإله– وكيف تتعدد الموجودات؟ وكذا الحال في الإرادات، وكيف تكون متناسقة ومستقيمة على خط واحد مع بعضها، ونحن نعرف أنّ الاختلالات البشرية والانفعالات موجودة وثابتة، فالجدل الذي بدأ في تفكيك هذه الاشكالية (الثالوث) هو ما دفع آباء الكنيسة إلى البحث عن إجابة لهذا السؤال، بالاعتماد على أساس جهد فلسفي (الافلاطونية المحدثة)، التي أعلنت عقيدتها في مجمع النيقية (تورانس، ٢٠١٧، ص١٧)، وزاد في ايضاح هذه العقيدة بوساطة أوغسطين واتباعه ومن تلاه، الذين فهموا الإله بأكثر من صورة مستعينين بأفلاطون (ماسة ، ٢٠١٩، ص٨٥) (العقل) المطلق، التي تمثل صفات مطلقة وقدرة مطلقة، وهي ما قدمت أنَّ الإنسان خلق بصورة الإله ومنح الحرية، وأنَّ نزول الإنسان من الجنة كان بسبب سوء استعماله للحرية، وتمثل قصة المسيح بالغفران عن طريق تجسد الإله وتضحيته (المصدر السابق، ص ٩٠)، وحين دخل التيار الارسطي بثوب ابن رشد بوساطة الفلاسفة المدرسيين (الخضري، ٢٠٠٧، ص١١٢–١١٣)، الذين اعتقدوا أنَّ (الأب والأبن) تستعمل بمعنى المفهوم الإلهي أو الحديث عن الألوهية، وحتى هذا الفهم سيدخل عبر قياس البشرية بوساطة العقيدة القائلة: إنَّ المسيح هو ابن الله الأب بعد الإقرار بالحقيقة، لكن بأسلوب خاص بعيداً عن التعقيد والمجاز الشعري أو التعبير العاطفي، وبناءً على هذا فأنّ المسيح لا يُعّد هو ابن الله البيولوجي، وهو ما بررّه أوغسطين عن طريق الملائمة بصورة تدريجية في كتابه

(الثالوث)، اذ نستطيع أخذ فكرة عن (الإله) بالرجوع إلى الاشياء وصفاتها ونوعها، فطالما أنَّ كل شيء هو من صنع الإله، أيّ أنّ الله هو خالقه، فالأشياء يجب أنَّ تعطينا صور معكوسة عن طبيعة الإله، فالكلمات (الأب والأبن) تُظهر حقيقة الإله، بينما يظهر من البشر الإنسان من معاني الكلمات، وهي ثابتة في الوجود الحقيقي للكليات.

لم يطرح سؤال الإرادة عند اليونانيين كونهم يتعاملون مع الفعل بصورة كبيرة من دون التفات لمفهوم الإرادة، بسبب تعالي العقل اليوناني، الذي يرفض ويستبعد النزول لاحتكام العاطفة، لكن هذا لا يعني أنّ اليونانيين لم يفرقوا بين مفهوم الارادة واللإرادة، فالمتتبع لفلسفة ارسطو يجد جليا نقاشه في البحث عن الارادة عبر كتابه الأخلاق (ارسطو ، ١٩٢٤، ص٢٦٩-٢٧٩)، حيث يرى ان الفرد يتمتع بحرية التحكم بأفعاله، إذ الأفعال تعود أو تؤول إلى الفرد، وقد ذكر توماس بينك: أنَّ ارسطو لم يستعمل مصطلح (eleutheria) ، وهي الكلمة الاغريقية المرادفة لكلمة الحرية لوصف هذا التحكم في الأفعال، بينما كان تداوله في سياق يقتصر على التعبير عن الحرية السياسية أو التحرر (بينك، توماس،٢٠١٥، ص١١)، وهذا هو المعنى الذي تداول آنذاك، مع أنَّ السؤال بحد نفسه قد يساور الإنسان فهو يرتبط بالسؤال الكوزمولوجي للوجود، لكن البحث عن العله كان الشغل الشاغل، وحتى المرحلة التي تلت العصر الهيلني الباحثة عن الحرية، إلاّ أنَّ الإرادة لم تكن ضمن الإشكاليات المثارة بشكل الحرية والمعلومة في الوقت نفسه، فالأبيقورية كانوا ينشدون في الحياة البشرية السعادة كاكتفاء ذاتي وأنّ التحرر يزعج صفوتهم، فمنظومتهم تقوم على أساس أنَّ الحرية التخلص من الخوف من الموت، والموت في فلسفتهم عن طريق البشر الآخرين ومن الإله، لذا توجب عليه اللجوء إلى العزلة عن الحياة المدنية، وهو ناتج

عن اللامبالاة الذي اتسم به الإله بحياة البشر (امين، ١٩٧٠، ص٤٣).

ولم يختلف الرواقيون عن سابقيهم الابيقورية، لكنهم آثروا العزلة عن العالم أو عدم التدخل السماوي في حياة البشر، بل ربطوا ذلك بالاتحاد باللوجوس الأعلى الذي يسيطر على كل شيء، ولا يتحصل ذلك إلاّ بوساطة أنْ يتحول الفرد عاقلاً أو فيلسوفاً بما يتيح للفيلسوف من وجهة نظرهم الارتباط باللوجوس الأعلى عن طريق المعرفة المطلقة أو المعرفة الحقيقة، وذلك عبر انطباع الحس الجلي والواضح كنتيجة يستطيع عن طريق هذه المعرفة يصبح الفرد حراً باتحاده بالقدر، أمّا الأفراد غير المتعقلين بهذا فيكون من الصعب والمتعذر عليهم فهم هذا القدر، فيكونون عبيداً، والفرد الحكيم (العاقل) لا يتحرر من علل الطبيعة بمجرد اتحاده باللوجوس، بل يصبح حراً روحياً.

ونجد أنّ سكوت اريجين قد بدأ كتابه (في القضاء السابق) بأن قال: إنَّ الفلسفة الحقيقية هي الدين، وأنَّ الدين الحقيقي هو الفلسفة، فما يدركه العقل، إن كان إدراكه حقيقيا، هو الدين، وما يقوله الدين، إنَّ كان القول حقيقيا هو الفلسفة، ولا بدّ أنْ يكون الدين والفلسفة شيئاً واحداً، لان مصدرهما واحد، وهو الحكمة الالهية (بدوي، ١٩٧٩، ص٤٩).

ومن وجهة أخرى فإن الأنظمة المعرفية المتولد من الدين هي محل تساؤل وإثارة في طبيعتها وحقيقتها، كون العقل البشرية يحاول الخروج من منزلق النهايات، التي تحتم النتائج الخاضعة لطبيعة هذا السؤال، وكونها محلاً للحيرة كلما أُعيد التأكيد على إثارتها يُعاد فتح الباب الذي اغلق لمدة معينة، وإعادة المسكوت عنه في الإيمان للمنظومة الدينية، لا توجد مسألة تسبب التيه والحيرة أكثر من مسألة حرية الإرادة (إيراسموس، حرية الارادة، ص١١)، إلى حد التصور، إلاّ أنّ هذه المسالة قد أُسدل الستار عليها، وأخرج كل ما فيها من عصارة من زمن بعيد، ولم يبقى للباحث

الجديد أنَّ يطلع فقط على ما قيل في تاريخ النقاش الماضي، التي لا بدّ أنْ يكون سمعها كل إنسان، والخطأ البين كما يعبر (وليم جيمس) في إحدى محاضراته: لست أعرف موضوعاً لم يُبلّ البحث جدته مثل هذا الموضوع، وليس هناك موضوع مثله تجد فيه ملكة الاختراع أرضاً خصبة لم تطرق بعد، ولستُ اعني بذلك طبعاً الوصول إلى نتائج جديدة أو ملزمة للخصم بالرأي، لكنني أعني أنه ما يزال هناك فيه مكان خصب للتعمق في معرفة حقيقة الصراع بين المتخاصمين (جميس، ٢٠٢٢، ص١٣٧)، ولم ينحسر هذا الصراع في الفكر الغربي فقط، بل تعدى ذلك إلى كونها النقطة المعلنة في الكلام الاسلامي التي دار بسببها الكثير من الاجابات وأفرزت العديد من الفرق، وما برحت هذه الإشكالية أن تشكل اهتمام الفرد المؤمن، كونها متعلقة بالجانب العملي، ومن جانب آخر تمثل حقيقة النتيجة التي ترتب في ضوئها الإجابات التصورية للنصوص المقدسة، وكون هذه المسألة أيضاً متعلقة بالفرد وايمانه، وأنَّ النصوص الدينية قد تعرضت بشكل اخر لها، إلا أنّ النتائج قائمة على فهم النصوص بحسب القدرات البشرية، إذ أنَّ منشأ السؤال يرجع إلى طبيعة العقل الإنساني.

ويقرر إتيان جلسون: أنّه ((في استطاعتنا أنَّ نقول: إنَّ إثبات حرية الإنسان قديمة قِدم الإنسان نفسه، فالديانة المسيحية لم تخترع فكرة الحرية، لكنّها كانت تنكر مثل هذا الزعم لو أنه أظهر)) (جلسون، ٢٠٠٩، ص٣٩٩) ، فحين خلق الله الإنسان فرض عليه الناموس، إلا أنَّه ترك الإنسان رغم ذلك حراً في أنَّ يفرض عليه أفعاله، فالقانون الإلهي ليس قهرا للإرادة البشرية، ولا محو لهذه الإرادة، ومع ظهور الفكر المسيحي بدأت سلسلة من المصطلحات الفلسفية في التداول العام، فالله لم يخلق الإنسان بوصفه أداة تتصرف من دون فهم، بل خلقه حرّاً، بخلاف سائر المخلوقات الخاضعة لقانون ثابت،

فالشمس والقمر والكواكب هي خاضعة لقانون طبيعي أوجده الله، وهو يحركها كما يشاء، والإرادة الحرة هي الخصيصة لتعقل الإنسان، وبذلك يظهر المائز عن سائر الموجودات، لكن البحث في هذه المسألة يبدأ ظهورها مع النصوص الدينية، التي فتحت الباب لمعرفة اصل الشر والخير والثواب والعقاب، كون المخلوقات بأجمعها لا تخضع بسبب خضوعها للقانون الطبيعي للحساب، كونها مخلوقات غير عاقلة، بينما الإنسان بحسب النصوص فانه يجازي على ما قدمه من أفعال وغيرها، لُو كان الإنسان خاضعاً للقوة القهرية ستكون قد أجبر عليها، لذلك ارتبط السؤال بمجيء الوحي الذي ضمن للإنسان الثواب والعقاب جراء أفعاله التي يقوم بها بإرادته، وهذا ما عبّر عنه المستشرق هاري. ولفستون: بقوله ((إنَّ الاعتقاد بإرادة حرّة هو ما جاء به الوحي اساساً، وهو ما دافع عنه فلاسفة الوحي وآباء الكنيسة، ومن قبلهم فيلون، بتعاليم الكتاب المقدس، واحياناً بمساعدة الاستدلال الفلسفي)) (ولفستون، ٢٠٠٩، ص٨٧٨) وقد افرد أوريجانوس في كتابه "في المبادئ" بابا لمسألة حرية الاختيار وقدرة الإنسان على صنع قرارة بنفسه، فضلا عن مقالته (في الاختيار الحر) وهي مفقودة لم يصل إلينا الا عنوانها فحسب وفيها أشارة إلى حرية الكائن العاقل، إذ أن العقل يسوس حركات الإنسان ويملك في طبيعته القدرة على معرفة الخير والشر (اوريجانس، ص٢٦٥)، ((إنَّ ما يأتينا من الخارج ليس لنا حول عليه، إنَّما استخدامه استخداماً حسنا أو سيئاً يتعلق بنا، ما دام العقل الذي في داخلنا يميز كيف يجب استخدامه، ويحكم فيه)) (المصدر السابق، ص٢٦٨) ، إنَّ الفكر المسيحي يُعّد اوريجانوس أول من تناول موضوع حرية الإرادة بشكل نظامي وتفصيلي (Michael Frede,, ٢٠١١p ,.١٠٥)، لأن اوريجانوس سيعتمد على يوستينوس الشهيد في نقاشه للرواقية لإيمانهم بالقدر اذ يقول: ((أننا لا نُعلّم "كما يفعل

الرواقيون" بأن الإنسان يعمل ويتألم كما يملي عليه القدر، بل نؤمن أنّ كلّ إنسان يفعل الخير أو الشر بإرادته الحرة... وبما أن الله منذ البدء خلق جنس الملائكة والناس ولهم إرادة حرة، فهم بعدل سوف يدفعون ثمن خطاياهم في النار الأبدية، فالإنسان بطبيعته له إمكانية الفضيلة والرذيلة، ولن يستحق المديح على أي عمل يعمله ما لم تكن له القدرة على أن يميل إلى أي منهما، "اي الخير والشر")) (يوستينوس، ٢٠١٢. ص ١١٣) ومعنى هذا أن اوريجانوس يؤسس موضوع حرية الإرادة في كتابه المبادئ بعد عرضه لأهم العقائد الأساسية، التي تؤمن بها الكنيسة المنقولة من البشارة الرسولية: ثمة إلهاً واحد.. قد خلق كل شيء... ثم يسوع المسيح الذي جاء وولد من الآب... ثم بعد ذلك نقلوا أنّ الروح القدس يشارك الأب والابن في الكرامة والمنزلة (اوريجانوس، في المبادئ، ص ٦٧-٦٩)، إلى أنَّ يقول: علاوة على ما تقدم، فإن النفس تنال مصيرا يناسب ما تستحقه حينما تبرح هذا العالم... وحددت البشارة الكنسية ايضا النقطة القائلة بأنّه: تنعم كل نفس عاقلة بحرية اختيار وبإرادة... فينبغي أن ندرك اننا لسنا نخضع للحتمية، ولا نحن مرغمون بأي شكل من الاشكال ان نسلك رغم انفنا سلوكاً سيئاً أو سلوكاً حسناً... ويعتقد اعتقاداً مخالفاً من يقول إنَّ مسير النجوم وحركاتها عله الأفعال البشرية (المصدر السابق، ص٦٩)، ومن هنا نسجل أنَّ اوريجانوس يتفق وتراث من سبقها اذ ذكر يوستينوس: ((نحن نؤمن أن مَن يختار أن يرضي الله فبسبب هذا الاختيار سيكون مستحقًا للحياة الأبدية في حضرة الله. وإن لم يكن في مقدورنا أن نخلق ذواتنا؛ لكننا نؤمن أننا نستطيع أن نعمل الأعمال المرضية أمامه باختيارنا بحسب ما وهبنا من قدرات عقلية)) (يوستينوس، الدفاع الاول، ص ٣٦-٣٧.) ، وهذه الموهبة التي اقرّ بها يوستينوس وعمل عن طريقها اوريجانوس أدلة الاثبات حرية الإرادة بوساطة حركة الكائنات أو الموجودات، وصنفها بحسب

طبيعته، فمنها من يتحرك بقوة الطبيعة ومنها من له قوة الحركة، لكنه يفتقر لقوة إدراك العقل، والإنسان يسير بقوة الطبيعة، لكن بتوجيه من العقل لعمل الصالح أو الطالح، ((ذلك بأنّنا بحكم هذا العقل نستخدم الدوافع التي تأتينا من خارج، لكي نقوم بما رضي العقل نفسه عنه؛ وبه تتجه حركاتنا الطبيعية، حسب ما يطيب له، نحو الصالح أو نحو الطالح)) (اوريجانوس، في المبادئ، ص ٢٦٦) ، واوريجانوس سوف يجيب عن السؤال المتعلق بخطيئة الجسد نفسه، كيف نفسر التحولات في التربية ممن تحولوا من فعل الفساد والعهر والرذيلة إلى العفة والعكس إذ يحسم اوريجانوس هذا الموضوع بقوله: ((إنَّ منطق العقل يدلنا، إذاً، على أن ما يأتينا من الخارج ليس لنا حُول عليه، وإنما استخدامه حسنًا أو سيئًا يتعلق بنا، ما دام العقل الذي في داخلنا يميز كيف يجب استخدامه ويحكم فيه)) (المصدر السابق ص٢٦٨) ، ولم يكتفي بالأدلة العقلية الفلسفية على اثبات حرية الإرادة، بل ذكر العديد من النصوص الكتابية التي دلت على أن الأحدث الخارجية لا ترغمنا، على سبيل المثال ((قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإنسان مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ)) (مي،٦: ٨) وكذلك ما جاء على لسان النبي موسى (ع): ((قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ)) (تث ٣٠: ١٩) ، ويذكر العديد من الوصايا وغيرها من العهد الجديد تدلل على أن بمقدور الإنسان أنَّ يختار، والا صار الله ظالماً لو أمرنا بشيء غير قادرين على اتيانه، فضلاً عن أنَّ النصوص الكتابية تتحدث عن المجازاة بالحياة الأبدية للأبرار والعكس للأشرار ومنها ((اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إلى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ)) (مت ٢٥: ٤١) ، إلى أنْ يصل بالنتيجة بالقول ((إنك ستجد في الأسفار المقدسة تأكيدات كثيرة لا عدّ لها، تثبت أجلى إثبات حيازتنا القدرة على حرية الاختيار. أمّا سوى ذلك فضرب من

الخيال أن نُعطى أوامر لنخلص بعملنا بها، أو لنهلك بميلنا عنها، إذا لم تكن لدينا القدرة في ذواتنا على مراعاتها؟)) (اوريجانوس، في المبادئ، ص٢٦٩)، فالحجج العقلية والوصايا تدل على قدرة الإنسان على الاختيار وحتى النصوص التي فهمت على نحو مخالف للاختيار، عمل على فهمها بالتقوى من أجل أنْ لا يُساء فهمها بالقول في القدر (في المبادئ، ص٢٧٠)، فصورة الله التي وهبها إلى الإنسان هي تعبير على أنَّ الإنسان حرا عاقلاً، فرفعه على سائر المخلوقات وساواه بالملائكة، فالإنسان المخلوق على صورة الله يتصرف بحرية ويأمر الأشياء المخلوقة، ويفعل ما يشاء أو يمتنع عن ما يريد الامتناع عنه (يوحنا الدمشقي، ١٩٨٤، ص١١٥).

وهنا نسجل ملاحظة مهمة أنَّ عصر آباء اليونان تعامل مع هذه المسائلة (إرادة الأفراد) ولاسيما عند مواجهتم الفلاسفة الرواقيين كما بينا في الأسماء السابقة انهم يتفقون على أنَّ الإنسان حرّ قبل وبعد الهبوط من السماء، وإنَّ فكر المسيحي المبكر اعتمد في البدايات على أصل العقلاني الخاضع للعقل الإلهي أو الإنساني، حيث العقل هو المرشد في مثل هذه الحالات وهم يؤمنون بعدم التناقض مع العقل الإلهي بسبب اتباعهم المنطق، كون الإرادة تفعل ما يمليه عليها المنطق بصحته، وعلى ذلك هم يؤمنون بالحرية بالأفعال والإرادة الحرة.

ثانيا: تقرير عبودية لوثر

يمهد إيراسموس في بداية بحثه عن حرية الإرادة والاختيار رفضه القاطع لكل من أوغسطين ولوثر، ويواصل عمله بناءً على هذا الرفض في تطوير افكاره الخاصة حول الموضوع، وهو يعلن أنَّ اطلاعه على موقف لوثر لم يقنعه مما دفعه إلى اعلان الرفض للاهوت إصلاح الإنسان، ينبغي أنَّ نعرف أفكاره عن الإنسان أولا.

إنَّ ما يجب فحصه قبل الخوض في أفكاره عن الإنسان هو مناقشته للإرادة، إذ أنَّ كلاً من لوثر وإيراسموس لم يناقشا الارادة بنحوٍ مجرد، مناقشة العقائد التي نطلق عليها الإنسانية، بمعنى انهم لم يبغيا هذا السؤال بالتحديد (عماً إذا كان الإنسان في حالته الساقطة حراً وقادراً على فعل الخير أم لا؟) أنّما كانا يسعيان إلى الوقوف على الإنسانية بوصفها مرتبطة بعلم الخلاص، بمعنى أنه لم يكن السؤالاً أخلاقياً، أنّما هو روحي بعبارة اخرى ليس التساؤل ما اذا كان الإنسان صالحا أم طالحا؟، لكن كيف نخلص الإنسان؟، وهل الخلاص هو جراء عمله الخالص (الجهد الخاص)، أم أن هناك تعاونا بين إرادته الضعيفة والاتكاء على الله صاحب السيادة القوية بغض النظر عن المساهمة من الإنسان، وبذلك يظهر أنَّ السؤال الحقيقي من مناقشة لوثر وإيراسموس في النهاية هو الخلاص أو النعمة، فما يحدد الإرادة الحرة هي النعمة، قوة الإرادة البشرية التي بوساطتها يمكن للإنسان أن يطبقها على نفسه وعلى الأشياء التي تؤدي إلى الخلاص الأبدي والاستغناء عنها (إيراسموس، ص٤٥).

وهنا يعقد إيراسموس مقارنة بين الإنسانية وعلم الخلاص، اذ يتعلق الامر بالإنسان على اختيار تلقي الخلاص من عدمه.

وللإجابة على هذا السؤال يخلص إيراسموس إلى: أنَّ العمل للإله أم هو مختص بالإنسان وحده بإرادته الحرة؟ وحتما ستكون الإجابة واحدة مّما تقدم، إلا أنَّ إيراسموس يرفض كل من العبودية التي تجعل من خلاص الإنسان مرجعه تقدير الله القائمة على فكره (التبرير بالإيمان)، وكذا الحال لا يسلم لإرادة قائمة على أساس عمل الإنسان بحسب إرادته الخالصة، فطالما لم يكن الخلاص إحدى هاتين، فهو يجد تفسيراً قائماً على فكرة التأز (التعاون) فالله والإنسان يتعاونان، إنّهُ مشروع مشترك، والنتيجة هي أنَّ ينال الإنسان المجد، يحصل على أجر استحقاقه، ويظهر رفض إيراسموس لتفسير

لوثر القائل بأن الإنسان يتمتع بالحرية المقاومة أو المتعاونة والنعمة الإلهية حتى بعد السقوط في الخطيئة الاصلية، التي اعلنها إيراسموس، بحجة أنَّ إرادة الإنسان لا يمكن أنَّ تكون حره ومستقلة لأسباب واضحة، هي مايأتي

١- علم الله بكل شي وبذلك تنتفي قدرة الحرية
٢- إنَّ علم الله المسبق للأشياء هو ناتج من صميم مشيئته
٣- من غير المسيح تكون إرِادتنا في حالة عبودية للخطيئة، ولا ينسب إلينا سوى الذنب والفساد (إيراسموس، ص ٥٤).

ويقرر إيراسموس في رده على فكرة لوثر أنّه من الصعب نَسبُ مجموع ما يفعله الإنسان إلى الله بوصفه المؤلف للأفعال، وفي بيان العلاقة يوضح أنَّ النعمة، وحرية الإرادة سببان يجتمعان في فعل واحد بشرط أنّ تكون النعمة هي المحركة الأساس والإرادة تابعة ثانوية، كون الأصل كافي في نفسه، وهو ما يبرر موقفه من الإرادة من أنّها لا تصل إلى الخلاص من نفسها، فالإرادة تحتاج محرك (النعمة) حتى تستحق الحياة الابدية (المصدر السابق، ص ٧٦). إلى حد وصفه النعمة الإلهية بالمستشار والمعماري والمساعد، ويظهر إيراسموس موقفه عبر مجموعة امثله منها: الطفل الذي لا يستطيع المشي ويكثر السقوط على الأرض، وهنا يلجأ الى الاب ان يجعل له محفزاً على المشي، هذا المحفز يتمثل في وضع تفاحة على بعد امتار منه، وتكون مهمته الوصول إليها، وهنا ينجح الأمر مع هذا الطفل في كونه تخطا سقوطه وواصله سيره بسبب تغير أبجديات المسير من قبل الأب (المصدر السابق، ص٧٧). وأما فكرة معرفة الله المسبقة وارتباطها بإرادة الإنسان الحر، فان الله يضع ما يشاء، لكن هذه المشيئة لا تفرض إرادة الله شيئاً على إرادة الإنسان، فالمعرفة الازلية السابقة لأنّهُ يعرف ببساطة ما سيختاره الإنسان من غير الحتمية على إرادة الإنسان، بل هي

استحضار ما يكون في علم الله الازلي من أفعال الإنسان من دون التوجيه بالحتمية الضرورية في كونه خيرا أو شرا (المصدر السابق، ص٦١)

فإيراسموس رفض عقيدة (بيلاجيوس) القائلة بحرية الإرادة وانكار النعمة الالهية في أداء الأعمال الصالحة، ومعنى هذا أنَّ بيلاجيوس يرفض ضمنياً عقيدة الخطيئة (خطيئة آدم)، فالإنسان قادر تماما على اكمال الناموس الالهي من دون النعمة الإلهية، أيّ أنَّ الإنسان لا يحتاج للمعونة بناءً على ما جاء في سفر تثنية، ((لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الإباء. كل إنسان بخطيئته يقتل)) (تثنية ٢٤: ١٦) ، وصار تفسيره لعقيدة الإرادة الحرة معرفه بـ(البيلاجيانية) (البعلبكي ١٩٩٢، ص١٣١) ، وأعلن مجمع افسس أنَّ بيلاجيوس مهرطقا عام ٤٣١م، كذلك رفض ايراسموس عقيدة أوغسطين الذي واجه بيلاجيوس، بسبب هذا النزاع الذي بني على رأيا اشد معارضة لحرية الارادة من ذي قبل، وعلى النقيض ((أصبح لوثر– الذي كان أولا ينسب بعض الأشياء لحرية الإرادة– ينكرها كلية حين حمى وطيس دفاعه)) (إيراسموس، ص٧٥)

وكأنّ كلاً من موقفي أوغسطين ولوثر جاءا ردة فعل كما يظهر من تحليل إيراسموس، لمذهبهم في الإرادة، إنه يثبت أنَّ التحليلات تؤدي إلى كارثة حقيقية، وأنَّ ما قدماه كان ردة فعل أيضا عكسية اتجاه الإنسان الذي سيميل للإلحاد بسبب الحتمية المحضة للأفعال البشرية ((إنّ ما كتبه أوغسطينوس في موضع آخر صحيحا– اي أن الرب غرس فينا الخير والشر، ويكافئنا عن اعماله الصالحة التي غرسها داخلنا ويعاقبنا على الشر التي غرسه فينا)) (إيراسموس، ص٢٠) ، متسائلا إيراسموس، عن الثغرات التي يسببها نشر هكذا رأي إلى لإلحاد، بين عدد لا يحصى من البشر (المصدر السابق، ص٦٠) وكأن الإنسان غير قادر إلا بالتسلم لهكذا تفسير، حيث يعبر عنه

انتهاك لمصير الإنسان الذي يسعى جاهدا لكبح شهواته سعيا منه، مبيناً كم عدد الذين يحاولون الرجوع بالتوبة وتحسين سلوكهم، ((فكيف يحبون الرب حبا جما وهو الذي يوقد النار بألم أبدي ليعاقب الضعفاء على أفعال شريرة اقترفها هو وكأنه يتلذذ بآلام البشر؟ سيكون رد فعل معظم الناس كما هو مصور. الناس بصفة عامة جهلاء ويسيطر الجنس على عقولهم ويميلون إلى نبذ الإيمان وإلى الخبث والكفر. فلا معنى لسكب الزيت على النار)) (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٢٠) لذا إيراسموس يحاول أنَّ يكون متوازن في موقفه، وأنّ لا ينحاز لتفسير البيلاجيانية الذي فسح المجال للقدرة البشرية من غير النعمة، ولا يقبل موقف لوثر الذي لا يرى مفر من الحتمية للعبودية، بل يجمع بين النعمى وقدرة الإنسان من أجل الخلاص البشري.

ويُستغربُ لماذا استبعد نص من سفر الجامعة من الشريعة العبرانية، الذي يشير بشكل واضح إلى إرادة الإنسان في اختيار الخير والشر، ((الرب صنع الإنسان في البدء وتركه في يد اختياره. وأضاف إلى ذلك وصايا واوامر. فان شئت حفظت الوصايا ووفيت مرضاته. وعرض لك النار والماء فتمد يدك إلى ما شئت. الحياة والموت أمام الإنسان فما أعجبه يعطي له)) (الجامعة، ١٥: ١٤-١٨).

وهنا يقرر إيراسموس أنَّ آدم كما خُلق كان له إرادة حرّه في الاختيار، الخير أو التحول إلى الشر، ولا يعني أنَّ السقوط حجب الخير بالفعل، وأن الإرادة تحولت إلى الشر، بل لا تزال قادرة على فعل الخير، نعم أنَّ الإرادة فيها ميل إلى الشر، وفيها امكان الاختيار الحرّ بين الخير والشر، وهذا ما يُحدّده إيراسموس بتعريفه لقوة الارادة البشرية، التي بمقتضاها ينفذ الإنسان الأفعال التي تؤدي إلى الخلاص الابدي، أو أنَّ ينحرف عن هذه الأفعال (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٣١)، ويعلل إيراسموس حرية الإرادة بمبدأ

الخطيئة، وهو إنْ كان لا يملك إرادة حرة، لما استطاع ارتكاب الخطيئة، وحاصل هذا فإن الاختيار ضروري للإنسان، كي يكون مذنبا في البداية من اجل التمييز بين الخير والشر، ويجب أنَّ يكون قادرا ومسؤولا عما يفعله اولا وبعدها يقرر، اذا ما كان حرا في افعاله حتى يصير انسانا (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٤٠)، وهذا الذي قدّمه لا يدفع إيراسموس إلى انكار النعمة ودورها الواضح الوارد في الكتاب المقدس، لكن هذه الوصايا لا تنفي اولوية الارادة الحرة، بمعنى أن النعمة تلعب دوراً في رسم حرية الإرادة، بخلاف الفهم ان النعمة تحدد تبعية الإنسان بالعبودية.

ثالثاً: الكتاب المقدس والفهم المتخالف.

يعترف إيراسموس في مواطن كثيرة من كتابه (حرية الإرادة): أنَّ المشكلة تكمُن في فهم عبارات الكتاب المقدس، وأنّ الكثير من النصوص تدل ضمناً على أن الإنسان يمكن إنّ يكون حر الإرادة، ((ولو كان الامر يعتمد على عدد الأدلة لكنت الآن أنا الفائز بهذه المناظرة)) (المصدر السابق، ص٦٧) ، وفي هذا إشارة الى مصاديق تلك الفكرة عند الرسول بولس– المناصر المتحمس للنعمة، والذي هاجم اعمال الشرائع [العبرانية]، ومنها ما ينبئ بحرية الإرادة كقوله: ((أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إلى التَّوْبَةِ؟)) (رومية، ٢: ٤)، وظل ايراسموس متسائلا في الوقت نفسه كيف ينسب اليهم الاستهانة بالوصية إذا لم تكن هناك حرية إرادة؟ وكيف يدعون الإله أنَّ يُكفّر عن خطاياهم، بينما هو من تسبب في عدم التوبة من الخطيئة، مستغرباً موقف لوثر! واصفا رأيه بالمتعجرف والمتشدد، عادّاً مذهبهُ متّسما بالغلو، وموقفه مبالغا فيه، في إشارة أيضاً إلى اعتدال مذهبه، والحق أنَّ إيراسموس يمثل التوجه الفلسفي، بينما لوثر في تفسيره يرفض أي قدرة بشرية في تحديد امكانية الإنسان بالوصول لفهم موضوع الإرادة البشرية من عدمه، فالمسألة قائمة على مبدأين، الأول: على

أساس الإنسان، وإن كان صالحا فانه مملوء بالخطيئة، والثاني: وهو أن تجتمع فيه الخطيئة فهو بحاجة إلى النعمة بالعبودية، وليس النعمة بالحرية كما يريد قولها إيراسموس، لذلك فإن الأخير وان حاول بمناظرته أن يكون اكثر تعقلاً، الا إنَّ الاصلاح الذي ينشده كان يدفع بالإنسان نحو العبودية والخلاص. ومن أجل فحص حجج لوثر يبدأ بشرح كلمات جسد الواردة في بعض النصوص المقدسة (الجسد والروح)، ((كُلُّ جَسَدٍ عُشْبٌ، وَكُلُّ جَمَالِهِ كَزَهْرِ الْحَقْلِ. يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ، لأَنَّ نَفْخَةَ الرَّبِّ هَبَّتْ عَلَيْهِ. حَقًّا الشَّعْبُ عُشْبٌ! يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إلى الأَبَدِ)) (اشيعاء، ٤٠:٦-٨). وقد استعان لوثر بهذه النصوص لتوضيح إرادة الإنسان للعبودية (النعمة)، بينما ذهب إيراسموس إلى تفسير الجسد الوارد بانه ليس جسداً خاطئاً، بل لا يتعدى كونه جسداً ضعيفاً لم يقصد به هذا الجسد الترابي وله قيوده المتضمنة بالزمان والمكان، بل يستعين بفهم القديس جيروم القائل: أنَّ الجسد في حالته الاخلاقية ضعيف، وبذلك وجد إيراسموس أنَّ فكرة لوثر بفساد الإنسان تماما لا يمكن قبولها، وإذا ما استعان لوثر بالنصوص فإن إيراسموس هو والآخر جمع النصوص الواردة في الكتاب المقدس والتاريخ الخاص بالآباء، كي يعلل أنَّ الإنسان ليس بالكامل جسداً، فالنفس تسعى لما هو شريف من الأشياء، وبالإمكان أنّ يطلق عليها العقل أو القدرة التوجيهية ((فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا)) (لو ٩: ٥٥) ، فالفلاسفة على حد تعبير إيراسموس كانوا يسعون لتحقيق الاعمال الشريفة، فكان يتجنب الانحياز إلى طرفا ما، فضلا عن أنّه إراد القول: إنَّ الإنسان ليس كله جسداً، فبعقله يمكن أنَّ يكافح من اجل العديد من الاشياء الجيدة، إلا أنَّ هذا العقل يبهت أو يضعف بسبب الطبيعة الدنيئة للإنسان ومن هنا فإنَّ عقل الإنسان يحتاج إلى أن تنيره روح الرب (النعمة)، وهذه فكرته المركزية في استعماله نص

لوقا وايضا بولس (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٥٠).

إنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في النص كما يصرح الاثنان؛ بل في مدى استيعاب الحقيقة، فإيراسموس يعلن أنَّ نصوص الكتاب المقدس غامضة ومتناقضة، وتحتاج للفهم، وهذا ما جعله يلجأ لكلمات الآباء الأوائل، بينما لم يجد لوثر نفعا في كلمات المفسرين والآباء، لأنّ الكتاب وكلماته واضحة وليست بحاجة للتفسير، وهذا ما جعل الخلاف بِيّناً، إذ عبّر عنها إيراسموس بقوله: ((لو كان واضحا تماما فلماذا- حسبما يعتقد خصمي- ظل كثير من العظماء يتصرفون كالعميان لعقود عدة وبخاصة في الامور شديدة الأهمية؟ إذا لم تكن هناك نقاط مظلمة في الكتاب فما الحاجة إلى النبوة)) (إيراسموس، حرية الإرادة، ص٢٦-٢٧) ، ومشكلة لوثر تكمن بعدم الثقة بتفسير الافراد انطلاقا من الإنسان ليس باستطاعته (العقل) إنَّ يصل إلى الحقائق لأن الخطيئة جعلت منه غير قادر على إدراك اسرار ومضامين الكتاب المقدس، فهو بحاجة إلى النعمة في كل شيء، وليس في أفعاله فقط، وهذا ما يخالفه إيراسموس في تعويله على الآباء اليونان واللاتينيين أصحاب الذكاء والفطنة، ممن يمتلكون تراثاً مفيداً، وقد شكل اغلبهم مرجعا لإيراسموس في حرية الإرادة، وبالذات ولا سيما بالشأن الذي جاء به جيروم الذي تقدم الكلام عنهم (المصدر السابق، ص٢٦).

ويعزز لوثر من وضوح كلمات الكتاب المقدس من نفسه، إلا أن (الإنسان) لا يستطيع فهم ذلك بنفسه، كونه واضحاً لشعب الله الذي اتضح عبر الروح القدس في قلوبهم. ولا ينكر لوثر صعوبة بعض الكلمات، وعدم وضوح عدد من العبارات، أو ضعف عمل الروح القدس، بل يرجعه إلى ضعفنا في فهم غموض بعض المقاطع التي يشار اليها بالتناقض وعدم الوضوح، وهذا الموقف يخالف إعلان الكتاب المقدس بانه النور الذي يكشف

الحقيقة، واذا ما كان غامضا فلماذا اعطانا إياه (مزمور،٧٦: ٤، متى، ٥: ١٦، يوحنا، ٤: ١٢)، وحسب لوثر أنَّ العقائد التي يعجز عن فهمها مثل (الثالوث والتجسد والخطيئة) ليست غامضة، كذلك مسألة الإرادة البشرية هي واضحة، لكن إيراسموس وغيره غير قادرين أن يعوا هذه الكلمات (Luthel, ١٩٩٦pp.١٢٩) بسبب ابتعادهم من روح الكتاب، ضناً منهم انها متناقضة، وهنا سيظهر لوثر البعد اللاهوتي التبريري في دعوته للإصلاح بعيدا عن قدرة الإنسان، وبما أنَّ إيراسموس يحسب على التيار الإنسانوي فهو لا يجد مبرراً لهذا الكلام إلا الجدل واللجوء إلى اقوال القديسين، الذين كانت لهم وجهات نظر يتفق معهم في تحديد حرية الإرادة.

إنَّ مهاجمة لوثر لخصمه إيراسموس بسبب قوله أنّ النص المقدس غير واضح، وذلك الغموض حاصل عنده بسبب انه لا يعي مضامين الكتاب، وهذا ما جعله يعبر عنها بالمتناقضة أو أنّها غامضة المعنى، مما أدى به إلى اللجوء لمناشدة اباء الكنيسة أملاً في الحصول على دعمهم، في وقتا كان اباء الكنيسة قد بنوا عقيدتهم إزاء حرية الإرادة على أساس وضوح الكتاب، وهذا ما دفع لوثر إلى تحدي إيراسموس في مطالبته بالعثور على مقطع واحد يدعم وجهة نظره حول حرية الإرادة، بل ويجزم لوثر بعدم امكانية العثور على ما يبرر وجهة نظره او فكرته (Ibid. pp ١٤٤)، ويمضي لوثر في هجومه اللاذع حين ينتقد قدرة إيراسموس في تفسير الكتاب المقدس، كونه عالما كبيرا في اللغات، لكن هذه المعرفة لم تسعفه ليكون مفسرا فاهما، وحتى الذي احتج به من سفر الجامعة كان بناء على توجيه جيروم، وأنَّ التسارع الذي اتسم به إيراسموس في التفسير ليس سببه الكتاب المقدس، بل كان ناتجا من العقل البشري كما اشرنا سابقا، إذ يعمم إيراسموس أنَّ سفر الجامعة يذكر الإرادة، فان هذا يعني أنَّ المرء لديه ارادة حرة (Ibid. pp

١٥٣)، مشيرا أنَّ إيراسموس يصوغ كلام الله كما يشاء، وكأنه يريد أن يقول إنَّ فهمه –لوثر– هو الصحيح، وما يقدم إيراسموس هو تجني على الله، أيّ إنه يصوغ نظريته ويبرر النصوص من اجلها ولم يستنطق النص بحسب عبارته، ولم يكن لإيراسموس الشجاعة باستعمال عقله الخاص بقدر ما كان يلجأ كما ذكرنا باتباع التقاليد الكاثوليكية الرومانية، ويعود إلى آباء الكنيسة، فعمله مملوء بالاقتباسات، والناظر في دعوة لوثر لا يجد مشكلة في استعانته بمقاطع آباء الكنيسة من اجل حل هذه الإشكالية، وهذا يعني أنَّ إيراسموس لم يمارس حريته بإرادته بحسب تفسير لوثر، بل قدر له أن يدفع ويُرصن دعواه، لكن لوثر يحاول اسقاطه بصورة أو بأخرى بشراك الهرطقة والتجني عليه، الذي يقابله بالضد من النص المقدس، إلى أنَّ يصل بالقول أن الكنيسة صاحبة السلطة في تفسير الكتاب المقدس، مما جعل لوثر يتحامل في القول بأنَّ إيراسموس يضع الآباء فوق بولس الرسول الملهم للمسيحية (Ibid. pp ٢٢٣)، وليس من ضير في هذا الصنيع بحسب الظاهر، اذ أنَّ الكثير من آباء الكنيسة يشيرون إلى وجود التناقض في كثير من نصوص بولس الرسول، مما دفعهم إلى تأويلها وإخراج معنى مغاير فيما بينهم، ويقدّم لوثر رؤيته لفهم النص المقدس بناءً على ان كلمة الله موحى بها عبر الروح القدس، فهو يثق ايضا في عمل روح القدس، وأنَّ الروح القدس تلهم تفسير تلك الكلمات من منطلق الإيمان بكلمات الله الواردة في الكتاب المقدس التي يفسر بعضُها بعضاً، فلوثر يرفض إخراج النصوص من سياقها كما فعل إيراسموس، الذي استقطع بعض العبارات من بعض الاسفار والنصوص المقدسة لكي يثبت نظريته في حرية الإرادة.

إذا يفسر لوثر الكتاب المقدس –بخلاف إيراسموس– بالمعنى البسيط والواضح بحسب تعبيره، إذ يقول: ((يجب علينا في كل مكان ان نتمسك فقط بالمعنى الطبيعي

والبسيط للكلمات، كما يستنتج قواعد النحو وعادات الكلام التي خلقها الله بين الناس)) (Ibid. pp ١٩٢) ، ويظهر أنَّ أصل المشكلة بين كل من إيراسموس ولوثر يكمن في البناء المعرفي ازاء فهم النصوص ومنهج التأويل والتفسير، فإيراسموس ينظر لمجموعة من الوصايا والكلمات الواردة في النص المقدس على انها غامضه، وهي بحاجة لفهم لكي يخرج منها فهم يعبر عن فكر الإنسان الإصلاحي التي تمثل قدرة الإنسان على الاختيار، فتمسكه بكلمة (اختر) كانت وسيلة على سبيل المثال من أجل تحقيق رفضه لفكرة العبودية التي نادى بها لوثر، في حين أنَّ لوثر عَدّ موقف إيراسموس نابعاً من الجهل بالتأكيدات العقائدية الوارد في الكتاب المقدس وهو اقرب للسفسطة، فلوثر يعلن أنَّ الدين ليس مجرد رأي، فالدين عنده هو (sola scriptura) أي الكتاب المقدس وحده، والأسفار الوارد في الكتاب هي من تحدد ما يجب أنْ نؤمن بهِ، فالشكوكية التي مارسها إيراسموس وإن نقل العهد الجديد لليونانية كان الأجدر به أنْ يحول عقله نحوه ،لا أنْ يدير قلبه وعقله على العقائد، وأنْ دفاعه عن الإرادة الحرّة، تعلن رفضه للكتاب المقدس، والواضح من تحامل لوثر ضد خصمه وكيف كان يستعمل كل الوسائل التي يعلن فيه دوغمايته العقائدية، وإخراج منافسه من فهم النصوص الوارد على لسان روح القدس، لأنَّ أسلوب إيراسموس ومنهجه حول الإنسان كان يغطي لاهوته وطريقته، وأنَّ مناشدته آباء الكنيسة كان من باب فسح المجال للقدرة البشرية في تفسير ما كان غير واضح في الكتاب المقدس، واهتمامه بالإنسان هدفه الاعتدال من اجل بناء لاهوت يحافظ فيه على قيمة الإنسان، وكذلك فإنَّ الإشارات التي تركه في عمله يُشير للكتاب المقدس بالتعامل بإسهاب في تناول مسألة الاختيار الحر، ويعزو ذلك إلى أنَّ المسائل مفتوحة للمناقشة من قبل الإنسان، وكأنه يريد أن يعطي دوراً فاعلاً للإنسان في طرح هذه الإشكالية، عبر خروجه من سلطة النص

الى سلطة القدرة البشرية في تفكيك هذه المسائل وحلها عبر استنطاق الواقعة والعقل، وهذا ما رفضه لوثر من اعتدال إيراسموس كونه خالي من الانتماء المذهبي والعقائدي، لأنَّ الكتاب المقدس صريح وواضح بما فيه الكفاية، وبدعواك بعدم وضوح الكتاب سينتفي دوره، ولوثر يدعو إلى سيادة الله على استقلالية الإنسان، وهي المسألة التي ما برح إيراسموس إعلانها في تفسيراته للمسائل اللاهوتية، فلوثر يعد خطاب خصمه خالياً من اللاهوت، لأنه لا يمتلك عقيدة كتابية، ولا فكرة عن اللاهوت، فاذا كان إيراسموس ينشد الخلاص فلوثر كان يعلن بشكل واضح أنّ خطابه إكرام الله في عقيدة السيادة، وأن لا يقبل اشباه الحلول (الوسطى)، ويُعدّ فهم إيراسموس مبنياً بعيدا عن اللاهوت، لذلك كان يجد صعوبة في فهم النصوص، ويكرر أنَّ الغموض والتناقض يملأ الكتاب المقدس، وذلك بسبب جهلة بقواعد التأويل والتفسير، ممّا دفع إلى الجوء لمشورة الإنسان (الآباء) على خلاف مشورة الله (Ibid. pp١٨٢)، ويؤكد لوثر على وضوح الكتاب المقدس بشكل خاص، وهو يشير إلى الوضوح الداخلي والخارجي للنص المقدس (Ibid. pp١٦١،١٥٨)، واجد لوثر يحاول إسقاط مذهب إيراسموس الإنساني كي لا يجعل من الإنسان مركزا للفهم، انطلاقا من قصوره الذي اقترفه من الخطيئة الأولى، وأرثوذوكسيته تحتم عليه أيضاً الهجوم من أجل هدم عقيدة الإنسان التي دعا لها إيراسموس، التي تقوم على أساس " لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (كو ٣: ٦).

إنَّ مقاربة إيراسموس لموقف لوثر مع الرواقيين في إطلاقهم معيار مطلق للحقيقة في ظل عدم وجود معيار مطلق أو مقياس معصوم لبيان الخطأ، كانت مقاربة نقدية على البناء المعرفي للمفاهيم العبودية، فهو يدرك ان لوثر سينطلق من الكتاب بوصفه حقيقة مطلقة (مقياساً)، وإيراسموس كما اتضح لم يقلل من قيمة

الكتاب المقدس، الا انه لم يجد الحل في الكتاب المقدس لغموض عباراته، وأنَّ العقل البشري له مساحة من التعقل في هذا الموضوع، ومن جانب آخر لا يريد الوصول لفهم لوثر، الذي سيؤدي إلى أنَّ الإله هو المسؤول عن كل شيء، وأنَّ ما يفعله الإنسان بإرادته هو خطيئة، وهذه النتيجة لإيراسموس تقلل من قيمة الإنسان، تنفي كل البواعث الدينية والأخلاقية، ويدرك من طريقها قلق لوثر من موقف البيليجانية، وفي الوقت نفسه حَمل لوثر نتائج تضخيم الخطيئة إلى درجة توصله إلى لمانوية، فإيمان إيراسموس إنَّ الإله كلي القدرة هو منبع الخير، عبر توازن ومحافظة على الخير الإلهي بوساطة مسؤولية الإنسان، اذا لم يكن للبشر درجة من الحرية فمن الصعب رؤية الإله يتصرف بعدل حينما يعاقب المذنبين، وأن حُمِلت هذه الرؤية للبيلجيانية على انكار الفضل الإلهي، لكنهُ اقرنها بالنعمة الإلهية، وأنَّ تضحية المسيح أعطت فرصة للقبول أو الرفض للنعمة الإلهية، ومع ما قدّمه إيراسموس من حجج، ألا أنّ الكثير من اللاهوتيين سجلوا انتصار لوثر في هذه المجادلة، ولا سيما بعد نشر كتابه في عبودية الإرادة، وهو ما دفع أي علاقة قد تعقد بين البروتستانتية والإنسانوية في ما بعد، ومن الجدير بالذكر ان إيراسموس ردَّ على كتاب لوثر بكتاب (Hyperaspistes) حامل الدرع، وهو عمل يحمل فيه إيراسموس دفاعاً عن نفسه بعد هجوم لوثر العنيف عليه، مستعرضاً كل إدعاءات لوثر، ورد عليها في صفحا كثيره نسبياً، ولم يكن قصد إيراسموس الرد على لوثر بقدر ما كان يريد إنّ يردّ اعتباره كعالم انسانوي، ولم يشر إلى أنَّ لوثر قد اطلع عليه، ويبقى لوثر مصرا على أنّ الله يحبط التمجيد الذاتي لقوانا وقدراتنا الإنسانية، فيصبح الصلاح متاحًا حينما يتخلّى الإنسان عن إدعاءاته، بأنه يتحكّم بمفاصل الأمور في الحياة، ويتغيّر بفضل عمل المحبة الإلهية، التي تغيّر إرادتنا لنخضع الكل ما هو للمسيح. مضيفا ((تمنح الإرادة المتغيّرة

بفضل محبة ونعمة المسيح، نوعًا جديدًا من الفهم لا يستند على الشرائع والقوانين الأخلاقية، لكن يستخدم هذا الفهم الجديد نوعا آخر من التبريرات والدوافع، التي هي دوافع الإيمان التي تدفعنا للاستجابة مع حاجات الآخرين، لأنّ إرادة المسيح أن نخدم القريب المحتاج)) (Ibid. pp ١٥٣) ، فالإنسان وُلد عبدا للخطيئة، فلا مجال للحرية التي يزعمها إيراسموس

الخاتمة

أظهر البحث مجموعة من النتائج وهي ما يأتي:

- إنَّ طرفي الجدال ينطلق من نقطة محددة هي الكتاب المقدس، لكنَّ الخلاف ناتج من تحديد صلاحية الإنسان في تقبل النعمة بالقدر والتعاون للخلاص.
- إيراسموس أراد أنْ يضع نقطة افتراق كي لا يُحسب على حركة الإصلاح، ولاسيما بعد إصدار كتابه مديح الحماقة، لذلك ناقش موقف لوثر المتأثر بأوغسطين، وفكرة القدر الرواقية.
- رفض لوثر حرية الإرادة الناتج في المقام الأول من أنّ الإنسان ليس بمقدوره تحديد صلاحيته في الاختيار والمقام الثاني أن موقف إيراسموس يقترب من رأي بيلاجيوس المرفوض من الكنيسة، بما جعل رأي لوثر أكثر قبولاً في المسيحية.
- يعد موقف إيراسموس تمثيل لنزعته الإنسانوية، والتي هي أقرب الى التفسير الفلسفي من اللاهوت الذي يعطي مساحة من تحديد الاختيار نظرا لقدرة الوعي والعقل البشري في اختيار الخلاص، وهذا ما انعكس على تفسيره وتأويله للنص المقدس.
- إنَّ رفض لوثر لجميع استدلالات إيراسموس على النصوص، لأن

الأخير وجد غموضاً وتناقضاً في نصوص الكتاب المقدس، وهذا ما دفع إلى اللجوء إلى عصر الآباء ولاسيما القديس جيروم، وهو ما رفضه لوثر انطلاقاً من وضوح النص وعدم دراية إيراسموس بالتفسير.

قائمة المصار والمراجع

الكتاب المقدس

١. ارسطو علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه من اليونانية الى الفرنسية: بارتلمى سانتهلير، ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤.
٢. أمين، عثمان، الفلسفة الرواقية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥
٣. اوريجانس، في المبادئ، ضمن سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم ٣١، عربه وقدم له وعلق عليه ونقحه الاب جورج خوام البولسي، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، بلا تاريخ.
٤. إيراسموس، حرية الإرادة، ترجمة: أحمد لطفي، دار صفصافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.
٥. بدوي، عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم – بيروت، ١٩٧٩.
٦. بدوي، عبدالرحمن، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧٠.
٧. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٩٢.
٨. بينك، توماس، الإرادة الحرة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ياسر حسن، مراجعة: ضياء ورَّاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، مصر، ٢٠١٥
بينك، توماس، الإرادة الحرة: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ياسر حسن، مراجعة: ضياء ورَّاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، مصر، ٢٠١٥
٩. تورانس، توماس ف.، الإيمان بالثالوث، ترجمة عماد موريس إسكندر، مراجعة جوزيف موريس فلتس، مركز بناريون للتراث الآبائي، القاهرة ط٣، ٢٠١٧.
١٠. ج. بيوري، حرية الفكر، تعريب: محمد عبد العزيز إسحاق، تقديم إمام عبد الفتاح إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
١١. جلسون، إتيان، تاريخ الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد

الفتاح امام، التنوير ط٣، بيروت، ٢٠٠٩
١٢. جميس، وليم، العقل والدين، ترجمة محمود حب الله، دار افاق للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٢٢.
١٣. الخضري، زينب محمود، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير، بيروت، ٢٠٠٧.
١٤. ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة الإصلاح الديني، ج٢، مج ٦، الكتاب ٢٣، ترجمة عبد الحميد يونس، مراجعة علي أدهم، دار الجيل، بلا ط، بيروت، ١٩٨٨.
١٥. راتسنجر، جوزيف، مدخل الى الإيمان المسيحي، ترجمة نبيل الخوري، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت ط١، ١٩٩٤
١٦. رؤوف، ماسة أسامة احمد، أثر الفلسفة اليونانية في الفكر المسيحي المبكر، تقديم: مجدي السيد أحمد كيلاني، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ط١، ٢٠١٩.
١٧. صالح، هاشم، مدخل إلى التنوير الأوربي، دار الطليعة للطباعة والنشر ورابطة العقلانيين العرب، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
١٨. فوكو، ميشيل، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.
١٩. القاضي، عبدالجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، دار التونسية للنشر، بلا ت،
٢٠. هندريكس، سكوت إتش، مارتن لوثر مقدمة قصيرة جداً، ترجمة كوثر محمود محمد، مراجعة: هبة عبد العزيز غانم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، مصر ٢٠١٤.
٢١. ولفستون، أ. هاري، فلسفة المتكلمين، ج٢، ترجمة مصطفى لبيب عبد الغني، المركز القومي للترجمة، القاهرة ط٢، ٢٠٠٩.
٢٢. يوحنا الدمشقي، المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي، عربه عن النص اليوناني: الاشمندريت ادريانوس شكور، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٤
٢٣. يوستينوس، الدفاع الاول، ضمن النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: آمال فؤاد، مراجعة مجموعة من المرجعين، دار باناريون، ط١، مصر، ٢٠١٢
٢٤. يوستينوس، الدفاع الثاني، ضمن النصوص المسيحية في العصور الأولى، ترجمة: آمال فؤاد، مراجعة مجموعة من المرجعين، دار باناريون، ط١، مصر، ٢٠١٢

٢٥. Luther, Martin. *The Bondage of the Will*. Tr. by J.I. Packer and O.R. Johnston. Grand Rapids: Revel, ١٩٩٦

٢٦. Michael Frede, A Free Will: Origins of the Notion in Ancient Thought (Sather Classical Lectures), ١st ed. (University of California Press, ٢٠١١),